مشهد أصحاب الجنة وأصحاب النار في سورة الأعراف - دراسة تحليلة بلاغية-

ط/د. كحيل سارة

إشراف: د. شوالين محمد السنوسي

جامعة وهران 1

الملخص:

يعتبر الحوار في القرآن الكريم من المواضيع التي اهتمت بها الدراسات البلاغية والعقدية، ولارتباطه الكبير بالدعوة الإسلامية فقد شغل مساحة واسعة في الآيات والسور القرآنية. وكان قاعدة هامة في إقامة الحجج والبراهين

من بين السور التي ظهر فيها أسلوب الحوار بدقة، سورة الأعراف التي اشتهرت بمشهد الحوار بين أهل الجنة وأهل النار، وصوّرت تلك المواقف الشاملة لحمد المؤمنين لله تعالى على تحقُّق وعده، وندم الكافرين على التفريط في الدين.

من خلال هذه الدراسة نحاول دراسة هذا المشهد مع التركيز على جوانبه البلاغية.

الكلمات المفتاحية:

الحوار، البلاغة، سورة الأعراف، أسلوب الحوار،

Abstract :

Dialogue in the Holy Quranis one of the topics that have been studied by rhetorical and doctrinal studies, and because of itsgreatconnection to the Islamicda'wa, itoccupied a large area in the Quranicsuras and verses. It wasalsoan important rule in establishing arguments and proofs

Among the surasthatshowed the stylistics of dialogue accurately, Al 'arafsurah, whichisfamous for the dialogicscenebetween the dwellers of Paradise and the dwellers of Hell, and itportrayedthosedteailedpositions of the believers' praise to Allah to achieveHis promise, and the disbeliever'sregret to abandon religion.

Throughthisreasrchwewilltry to study the dialogicsceneswith a particularfocus on therhetorical aspects.

Keywors : dialogue- rhetorics- A'raf surah- stylistics of dialogue.

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فإنّ القران الكريم وهو الرسالة الخالدة قد أنزله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين وهذه الرحمة قد اقترنت فيها البشارة والنذارة، بشارة الخير والفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة، ونذارة الخزي والذل في الدنيا والخسران يوم القيامة ، لذلك ساق القران الكريم جملة من المشاهد التي تترجم لهذين الموقفين، ولعلّ أعظمها وأجلّها ما حكته سورة الأعراف من مشاهد الحسرة والرفعة لأهل الجنة وأهل النار يوم القيامة.

تجتهد هذه الدراسة في الوقوف على حقيقة هذا المشهد الذي قصه الله علينا في القران من خلال هذه السورة؟ ومعرفة تفسيره وتحليل جزئياته، مع التركيز على توضيح الجوانب البلاغية المتعلقة به.

بين يدي السورة:

قال تعالى :﴿ ونَادَى أصحاب الْجَنَّةِ أصحاب النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (45) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأعراف رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أصحاب الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أصحاب النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47) وَنَادَى أصحاب الأعراف رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (49) وَنَادَى أصحاب النَّارِ أصحاب الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51)﴾[1]

تحليل الآيات الكريمة:

أما قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أصحاب الْجَنَّةِ أصحاب النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾،

هذا الموقف واحد من نتائج العمل في الحياة الدنيا، قال الطبري في تفسيره:"وَنَادَى أهل الْجَنَّةِ أهل النَّارِ بَعْدَ دُخُولِهُمُوهَا: يَا أهل النَّارِ، قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فِي الدُّنْيَا عَلَى أَلْسُنِ رُسُلِهِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَبِهِمْ وَعَلَى طَاعَتِهِ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ وَعَلَى مَعَاصِيهِ مِنَ الْعِقَابِ؟ فَأَجَابَهُمْ أهل النَّارِ بِأَنْ نَعَمْ، قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَ رَبُّنَا حَقًّا"[2]

ومعنى **قوله تعالى: ﴿فأذن بينهم﴾**"أي بأعلى صوته أن لعنة الله على الظالمين وذلك أن ينادي مناد بين الجنة والنار تسمعه الخلائق كلهم إن رحمة الله قريب من المحسنين ولعنة الله على الظالمين[3]،**وقولة تعالى: ﴿لعنة الله﴾**"أي أمره بطرد الظالمين من الرحمة إلى العذاب، **وقوله تعالى: ﴿يصدون عن سبيل الله﴾**"يعني دين

الله[4] والمعنى الذين كانوا يصدون عن سبيل الله لأنهم وقت الآذان لم يكونوا متصفين بهذا الوصف والمعنى بالظلم الكفار ويدفع قول من قال :إنه عام في الكافر والفاسق. قوله أخيرا ﴿**وهم بالآخرة كافرون**﴾"لأن الفاسق ليس كافرا بالآخرة بل مؤمن مصدق بها[5] و**قوله تعالى**: ﴿**ويبغونها عوجا**﴾"اي يطلبونها زيغا وميلا أي:أي يطلبون سبيل الله جائرين عن قصد القصد[6]

التوجيه البلاغي للآيات:

وفي هذا السؤال سخرية ظاهرة، فالمؤمنون على ثقة من تحقق وعيد الله كثقتهم من تحقق وعده ولكنهم يسألون أصحاب النار فيجيبون في كلمة واحدة:"نعم"[7]، وقد استدل الزمخشري[8] بالتنادي القائم في الآية على قوله تعالى: ﴿**وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ**﴾[9]:"وفي قوله: ﴿**نادى أصحاب الجنة**﴾"استعارة تبعية [10]، قال العلامة ابن عاشور:"وجملة :ونادى أصحاب الجنة يجوز أن تكون معطوفة على جملة : ﴿**وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا**﴾ عطف القول على القول اذ حكي قولهم المنبئ عن بهجتهم بما هم فيه من النعيم ثم حكي ما يقولونه لأهل النار حينما يشاهدونهم ويجوز أن تكون معطوفة على جملة ﴿**ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها**﴾ "عطف القصة بمناسبة الانتقال من ذكر نداء من قبل الله الى ذكر مناداة أهل الآخرة بعضهم بعضا فعلى الوجهين يكون التعبيرعنهم بأصحاب الجنة دون ضميرهم توطئة لذكر نداء أصحاب الأعراف ونداء أصحاب النار ليعبر عن كل فريق بعنوانه وليكون منه محسن الطباق في مقابلته ﴿**أصحاب النار**﴾ وهذا النداء خطاب من أصحاب الجنة عبر عنه بالنداء كناية عن بلوغه إلى إسماع أصحاب النار من مسافة سحيقة البعد فإن سعة الجنة وسعة النار تقتضيان ذلك لا سيما قوله تعالى: ﴿**وبينهما حجاب**﴾ووسيلة بلوغ هذا الخطاب من الجنة الى أصحاب النار وسيلة عجيبة غير متعارفة"[11]

وقوله تعالى: ﴿**ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار**﴾"، يفيد العموم فهل النداء يقع من كل أهل الجنة لكل أهل النار أو من البعض للبعض .الجواب أن الجمع إذا قوبل بالجمع يوزع الفرد على الفرد وكل فريق من أهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار

والمعنى أن أصحاب الجنة بعد استقرارهم فيها ينادون أهل النار بعد استقرارهم فيها أيضا ،قائلين : قد وجدنا ما وعدنا ربنا على ألسنة الرسل من التكريم حقا ،فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من الخزي والنكال حقا، والسؤال يتضمن تقرير أهل الجنة بصدق ما بلغهم الرسل من وعد ربهم وتقريع وتوبيخ أهل النار على ما حدث منهم من جناية على أنفسهم بتكذيب الرسل [12]،**وقوله تعالى** : ﴿**ان قد وجدنا**﴾ ف:" **أن** "تفسيرية للنداء، وقوله ﴿**قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا**﴾ خبر[13].

أما قوله تعالى:﴿**فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا**﴾، فهو استفهام، مستعمل مجازا مرسلا بعلاقة اللزوم في توقيف المخاطبين على غلطهم والمعاني المجازية التي علاقتها اللزوم يجوز تعددها مثل الكناية وقرينة المجاز هي ظهور أن أصحاب الجنة يعلمون أن أصحاب النار وجدوا وعده حقا [14]

قالو "**نعم** "ونعم حرف جواب تكون لتصديق الإخبار وقد تجاب بها النفي المقرون بإستفهام، وقوله تعالى: ﴿**فأذن مؤذن**﴾ "التأذين في اللغة النداء والتصويت الإعلام وقوله ﴿**بينهم**﴾يجوز أن يكون منصوبا ب" أذن "او ب" مؤذن"فعلى الاول التقدير ان المؤذن اوقع ذلك الاذان بينهم اي في وسطهم ،وعلى الثاني التقدير :تن مؤذنا من بينهم اذن بذلك الاذان والاول اولى وان يكون متعلقا بمحذوف على انه صفة ل:"لمؤذن "قال "مكي "عند إجازته هذا الوجه :"ولكن لا يعمل في:"ان" "مؤذن" إذ قد نعته يعني أن قوله : ان لعنة الله لا يجوز ان يكون معمولا ل "مؤذن"لانه موصوف واسم الفاعل متى وصف لم يعمل وقوله تعالى: ﴿**ان لعنة الله على الظالمين**﴾ قال الدمشقي:"«أنْ» يجوز أن تكون المفسِّرة، وأن تكون المخففة، والجملة الاسميَّة بعدها الخبر، فلا حاجة هنا لفاصل[15]

قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم عن ابن كثير : ﴿**أن لعنة الله**﴾ على بتخفيف نون "**أن** "على أنها تفسيرية لفعل اذن ورفع لعتة على الابتداء والجملة تفسيرية وقرأه الباقون بتشديد النون وبنصب لعنة على أن الجملة مفعول اذن لتضمنه معنى القول ،والتعبير عنهم بالظالمين تعريف لهم بوصف جرى مجرى اللقب تعرف به جماعتهم فلا ينافي انهم حين وصفوا به لم يكونوا ظالمين لانهم قد علموا بطلان الشرك حق العلم وشان اسم الفاعل أن يكون حقيقة في الحال مجازا في الاستقبال[16]، وقوله" "الذين"يجوز ان يكون مرفوع المحل ومنصوبه على القطع فيهما ومجرورة على النعت او البدل او عطف البيان[17]

وفي قوله تعالى :﴿**يصدون**﴾–﴿**يبغونها**﴾فشان المضارع الدلالة على حدث حصل في زمن الحال وهم في زمن التأذين لم يكونوا متصفين بالصد عن سبيل الله، ولا يبغي عوج السبيل فلذلك لقصد ما يفيده المضارع من تكرر حصول الفعل تبعا لمعنى التجدد ، وكذلك وصفهم باسم الفاعل في قوله: ﴿**وهم بالآخرة كافرون**﴾ فإنّ حقّه الدلالة على زمن الحال وقد استعمل هنا في الماضي :أي كافرون بالاخرة فيما مضى من حياتهم الدنيا وكل ذلك اعتماد على قرينة حال السامعين المانعة من إرادة المعنى الحقيقي من صيغة المضارع وصيغة اسم الفاعل [18]، ومفعول "يصدون"محذوف أي" يصدون الناس، [19]وقوله العوج "وهو بفتح العين في الأجسام وبكسر العين في المعاني واصله ان يجوز فيه الفتح والكسر ولكن الاستعمال خصص الحقيقة بأحد الوجهين والمجاز بالوجه الآخر وذلك من محاسن الاستعمال فالإخبار عن السبيل "عوج" غخبار بالمصدر للمبالغة، وورد وصفهم بالكفر عن طريق الجملة الاسمية ﴿**وهم بالاخرة كافرون**﴾،للدلالة على ثبات الكفر فيهم وتمكنه منهم لأن الكفر من الاعتقادات العقلية التي لا يناسبها التكرر فلذلك خولف بينه وبين وصفهم بالصد عن سبيل الله وبغي إظهار العوج فيها لأن ذلك من الأفعال القابلة للتكرير بخلاف الكفر فإنه ليس من الأفعال[20]

يقول الشيخ أطفيش في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**الذين يصدّون عن سبيل الله**﴾ يعرضون فشمل من ضل ومن أضل غيره ومن ضلّ ولم يضل غيره وهو من صد اللازم، او يصدون الناس من المتعدي ﴿**ويبغونها**﴾يطلبون لها ﴿**عوجا**﴾ميلا بالقاء الشبه أو يقولون أنها معوجة عن الحق" **وها**"منصوب المحل على نزع الجار وعوجا حال اي ذات عوج [21]

وفي تفسير الآلوسي أن معنى قوله تعالى: ﴿**يصدون عن سبيل الله**﴾ اي يصدون بانفسهم عن دينه سبحانه فالموصول صفة مقررة للظالمين لان هذا الاعراض لازم لكل ظالم وجوز القطع بالرفع والنصب وكلاهما على الذم وامر الوقف ظاهر وفسر الامام النسفي الصد هنا بمعنى الغير وعليه فلا تقرير والمعنى يمنعون الناس من دين الله تعالى بالنهي عنه وإدخال الشبه في دلائله ﴿**ويبغونها عوجا**﴾، أي يطلبون اعوجاجها فالعوج إما على أصله هو الميل وإما بمعنى التعويج والأمالة ونصبه قيل :على الحالية وقيل على المفعولية وقوله تعالى: ﴿**وهم بالاخرة كافرون**﴾الجار متعلق بما بعده والتقديم لرعاية الفواصل والعدول عن الجملة الفعلية إلى الإسمية للدلالة على الدوام والثبات، إشارة الى رسوخ الكفر فيهم [22]، وجاء في تفسير أبي حيان الاندلسي في تفسيره البحر المحيط في قوله تعالى : ﴿**يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا**﴾"تقدم تفسير مثله وهذا الوصف بالموصول هو حكاية عن قولهم السابق [23]

وذكر القرطبي في تفسيره في قوله تعالى:﴿**وهم بالاخرة كافرون**﴾ أي وكانو بها كافرون، فحذف وهو كثير في الكلام [24]، وفي قوله تعالى: ﴿**يبغونها عوجا**﴾ مفعول ثان ل:يبغون أي ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض[25]، وجاء في تفسير—روح البيان —في قوله تعالى: ﴿**الذين يصدون**﴾ يعرضون فهو لازم جعله متعديا بمعنى يمنعون الناس محوج إلى تقدير المفعول ولا يصار إليه من غير ضرورة [26]

﴿**الذين يصدون عن سبيل الله**﴾ صفة للظالمين ويجوز الرفع والنصب على إضمارهم ﴿**وهم بالاخرة كافرون**﴾، في محل نصب على الحال [27]

قوله تعالى: ﴿وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾

﴿**وبينهما حجاب**﴾ أي بين الفريقين، والحجاب أي أعاليه وهو السور المضروب بينهم لقوله تعالى: ﴿**فضرب بينهم بسور**﴾ أي بين الجنة والنار ليمنع وصول أثر إحداهما إلى الأخرى[28]،وقوله أيضا ﴿**وعلى الأعراف**﴾، جمع عرف مستعار من عرف الفرس،وقيل العرف مارتفع من الشيء فإنه يكون لظهوره اعرف من غيره[29]، وقد نقل عن بعض السلف أن أهل الأعراف هم قوم استوت موازين حسناتهم مع موازين سيئاتهم ويكون إطلاق الرجال عليهم تغليبا لأنه لابد أن يكون فيهم نساء [30]

التوجيه البلاغي للآيات:

تقديم" وبينهما "وهو خبر على المبتدا للاهتمام بالمكان المتوسط بين الجنة والنار وما ذكر من شأنه وبهذا التقديم صح تصحيح الابتداء بالنكرة والتنكير والتعظيم ،وضمير بينهما يعود إلى لفظي الجنة والنار الواقعين في قوله ﴿**ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار**﴾ وهما اسما مكان فيصلح اعتبار التوسط بينهما وجعل الحجاب فضلا بينهما ﴿**والأعراف**﴾"وال "في الأعراف للعهد، وهي الأعراف المعهودة التي تكون بارزة في أعالي الأسوار ولم يسبق ذكر للأعراف هنا حتى تعرف بلام العهد فتعين أنها ما يعهده التاس في الأسوار أو يجعل "ال "عوضا عن المضاف إليه، أي وعلى الأعراف السور.

وتقديم الجار والمجرور لتصحيح الابتداء بالنكرة إذا اقتضى المقام الحديث عن رجال مجهولين يكونون على أعراف هذا الحجاب، وتنوين "كلا "عوض عن المضاف إليه المعروف من الكلام المتقدم أي كل أهل الجنة وأهل النار،"**أن**"تفسير للنداء وهو عبارة "سلام عليكم"، وجملة ﴿**لم يدخلوها وهم يطمعون**﴾ مستأنفة للبيان وجملة ﴿**وهم يطمعون**﴾حال من ضمير يدخلوها والجملتان معا معترضتان بين جملة: ﴿**ونادوا أصحاب الجنة**﴾ والجملة ﴿**إذا صرفت أبصارهم**﴾وجملة ﴿**وإذا صرفت أبصارهم**﴾ معطوفة على جملة ﴿**ونادوا أصحاب الجنة**﴾والصرف :أمر الحال بمغادرة المكان والصرف هنا مجاز في الالتفات أو استعارة، وإسناده إلى المجهول هنا جار على المتعارف في أمثاله من الأفعال التي لا يتطلب لها فاعل، وقد تكون لهذا الإسناد هنا فائدة زائدة، وهي الإشارة إلى أنهم لا ينظرون إلى أهل النار إلا نظرا شبيها بفعل من يحمله على الفعل حامل،والتعبير عنهم هنا بأصحاب الأعراف إظهار في مقام الإضمار إذ كان مقتضى الظاهر ان يقال ونادوا رجالا إلا أنه لما تعدد في الاية السابقة مايصلح لعود الضمائر اليه وقع الاظهار في مقام الإضمار دفعا للالتباس والنداء يؤذن ببعد المخاطب فيظهر ان أهل الأعراف لما تطلعوا بابصارهم الى النار عرفوا رجالا[31]

قوله تعالى:﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أصحاب النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

فقوله تعالى: ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقآء أصحاب النار﴾ أي التفتوا إليهم على وجه القلة ،تعوذوا من حالهم[32]،بمعنى رأوا ماهم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفرغوا ألى رحمته أن لا يجعلهم معهم[33]في قوله تعالى :"﴿ **ربنا ولا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾**".

التوجيه البلاغي للآيات:

جملة ﴿**وإذا صرفت أبصارهم**﴾ معطوفة على جملة ونادوا أصحاب الجنة، والصرف أمر الحال بمغادرة المكان والصرف هنا مجاز في الالتفات أو الاستعارة، وإسناده هنا جاز على المتعارف في امثاله من الافعال التي لا يتطلب بها فاعل وقد يكون لهذا الاسناد هنا فائدة زائدة وهي الاشارة الى انهم لا ينظرون الى أهل النار الا نظرا شبيها بفعل من يحمله على الفعل حامل[34]

وقوله تعالى: ﴿**تلقاء**﴾ منصوب على ظرف المكان [35]،وهو منقول من المصدر الذي هو بمعنى اللقاء لان محل الوجود ملاق للموجود فيه [36]،

قوله تعالى : ﴿وَنَادَى أصحاب الأعراف رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾"ومعنى قوله تعالى: ﴿**رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ**﴾،يعني أهل الجنة وأهل النار وقوله تعالى:" ﴿**قالوا ما أغنى عنكم جمعكم**﴾يأهل الجنة وأهل الطاعات ويا أهل النار من الدنيا والشهوات [37]وقوله تعالى : ﴿**وما كنتم تستكبرون** ﴾"عن السير في حقيقة لا إله إلا الله[38]

التوجيه البلاغي للآيات:

﴿**ونادى أصحاب الأعراف**﴾ كرر ذكرهم مع كناية الإضمار لزيادة التقرير[39]

وفي معنى الاية كانه قيل ونادوا أولئك الرجال الذين على الأعراف رجالا والتعبير هنا بأصحاب الأعراف إظهار في مقام الإضمار كما سبق ذكره ،والنداء يؤذن ببعد المخاطب فيظهر ان أهل الأعراف لما تطلعوا الى النار عرفوا رجالا ،ومعنى "جمعكم"تحتمل ان يكون جمع الناس اي ما أغنت عنكم كثرتكم التي تعتزون بها ويحتمل ان يراد من الجمع المصدر بمعنى اسم المفعول اي ماجمعتوه من المال و" ما" الأولى نافية ما "أغنى "بمعنى ما أجزي،و وهو مصدر الغناء والخبر مستعمل في الشماتة والا توقيف على الخطأ، و"ما "الثانية مصدرية في قوله تعالى: ﴿**وما كنتم تستكبرون**﴾"أي واستكباركم الذي مضى فيفيد أن الاستكبار كان دأبهم لا يفترون عنه [40]

قوله تعالى: ﴿**ما أغنى**﴾ يجوز أن تكون استفاهمية للتوبيخ والتقريع وهو الظاهر، ويجوز أن تكون نافية وقوله تعالى: ﴿**وما كنتم**﴾: "**ما**"مصدرية لينسق مصدر على مثله أي :ما أغنى عنكم جمعكم وكونكم مستكبرين وقرئ "تستكثرون"بناء مثلته من الكثرة [41]

وفي تفسير أطفيش في قوله تعالى:﴿**ما أغنى عنكم**﴾: **مالكم**"ما النافية أو استفهامية توبيخية واقعة على العذاب او الاغنياء، وعطف على جمعكم قوله﴿**وماكنتم تستكبرون**﴾ أي كونكم تستكبرون عن الإيمان [42]، قالوا بيان لنادى أو بدل منه ﴿**ما أغنى عنكم**﴾ استفهام وللتقريع والتوبيخ ويجوز أن يراد النفي أي ماكافاكم ما أنتم فيه ﴿**جمعكم**﴾ اتباعكم أو جمعكم المال فهو مصدر مفعوله مقدر ﴿**وما كنتم تستكبرون**﴾ أي واستكباركم المستمر عن قبول الحق و"**ما**"على هذه القراءة تحتمل أن تكون اسم موصول على معنى ما أغنى عنكم اتباعكم

قوله تعالى:﴿**أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾"،ومعنى هذا قال أهل الأعراف لأهل النار : أهؤلاء الذين في الجنة اليوم هم الذين كنتم تحلفون أنهم لا يدخلون الجنة برحمة الله وفضله[43].

التوجيه البلاغي للآيات:

فقوله تعالى: ﴿**أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة**﴾،من تتمة قولهم للرجال فهو في محل نصب مفعول القول أيضا أي قالوا ﴿**ما أغنى**﴾وقالوا أهؤلاء والإشارة إلى ضعفاء الجنة ﴿**ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون**﴾ من كلام أصحاب الأعراف وقيل هو أمر بأصل الدخول،﴿**اهؤلاء**﴾ "استئناف وليس من تتمة قول أصحاب الأعراف وقرئ ادخلوا ودخلوا بالمزيد المجهول وبالمجرد المعلوم وعليها فلابد أن يكون ﴿**يا عباد لا خوف عليكم**﴾ مفعول القول أيضا اي قالوا "ما أغنى عنكم "وقالوا أهؤلاء والإشارة إلى ضعفاء الجنة وقوله تعالى : ﴿**ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون**﴾ من كلام أصحاب الأعراف وقيل هو أمر بأصل الدخول ﴿**أهؤلاء**﴾ استئناف وليس من تتمة قول أصحاب الأعراف وقرئ ادخلوا ودخلوا بالمزيد المجهول وبالمجرد المعلوم وعليها فلابد أن يكون ﴿**يا عباد لا خوف عليكم**﴾ مقولا لقول محذوف وقع حالا لنتيجة الخطاب ويرتبط الكلام أي ادخلوا الجنة مقولا لهم ولا خوف [44]

وجملة: ﴿**أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة**﴾ من كلام أصحاب الأعراف والاستفهام في قوله ﴿**أهؤلاء الذين اقسمتم**﴾ مستعمل في التقرير ،والإشارة بقوله: "**أهؤلاء**" إلى قوم من أهل الجنة كانوا مستضعفين في الدنيا ومحقرين عند المشركين بقوله تعالى:﴿**الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة**﴾

وقوله تعالى: ﴿**لا ينالهم الله برحمة**﴾ هو المقسم عليه وقد سلطوا التفي في كلامهم على مراعاة نفي الكلام يقوله الرسول عليه الصلاة والسلام أو المؤمنون، وجعلت الرحمة بمنزلة الآلة للنيل او جعلت الرحمة ملابسة للنيل فالباء للملابسة والنيل هنا استعارة وقد عمدوا إلى هذا الكلام المقدر فنفوه فقالوا ﴿**لاينالهم الله برحمة**﴾ ،وجملة"وادخلوا الجنة" قيل مقول قول محذوف اختصارا لدلالة السياق عليه والتقدير:"قال لهم الله ادخلوا الجنة فكذب الله قسمكم وخيب ظنكم"، وهذا كله من كلام أصحاب الأعراف والاظهر ان يكون الأمر في قوله :ادخلوا الجنة للدعاء لان المشار اليهم بهؤلاء اناس من أهل الجنة[45]

جاء في تفسير روح البيان"**ما أغنى عنكم** "ما استفهامية للتقريع أو نافية﴿**وما كنتم تستكبرون**﴾، ما مصدرية اي واستكباركم المستمر على الخلق، ﴿**اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة**﴾ هو من تمام قول أصحاب الأعراف للرجال الذين هم رؤساء الكفرة فيكون في محل النصب بالقول المتقدم ﴿**لا ينالهم الله برحمة**﴾ "جواب أقسمتم[46]

وفي تفسير المنير: في قوله تعالى: ﴿**أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة**﴾ الهمزة في "هؤلاء" همزة استفهام وهؤلاء مبتدا والذين خبر مبتدا محذوف تقديره :"اهؤلاء هم الذين أقسمتم عليهم"فحدف عليهم ولاينالهم الله برحمة :جواب اقسمتم والقسم وجوابه في صلة الذين "لا خوف عليكم "جملة النفي حال أي مقولا لهم [47]

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أصحاب النَّارِ أصحاب الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ "

قال الطبري: "وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنه عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع عقوبة من الله لهم على ماسلف منهم في الدنيا من ترك طاعة الله ،وكذلك **قوله تعالى:**" ﴿**افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله**﴾ "أي اطعمونا مما رزقكم الله من الطعام[48]، وأما **قوله تعالى:** ﴿**قالوا إن الله حرمهما على الكافرين**﴾"أي منع طعام الجنة وشرابها عنهم منع المحرم عن المكلف فلا سبيل إلى ذلك قطعا وانما جعل شراب الكافرين الحميم الذي يصهر به مافي بطونهم والجلود وطعامهم الضريع و الزقوم [49] .

التوجيه البلاغي للآيات:

أما القول "في نادى "وفي ان التفسيرية فمثلها في قوله : ﴿**ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا**﴾ "وفي قوله تعالى : ﴿**ان افيضوا**﴾ "فعل الفيض حقيقته سيلان الماء وانصبابه بقوة ويستعمل مجازا في الكثرة فالفيض في الآية اذا حمل على حقيقته كان أصحاب النار طالبين من أصحاب الجنة أن يصبوا عليهم متء ليشربوا منه ولاجل ذلك جعل الزمخشري عطف على الجملة لا على المفرد فيقدر عامل بعد حرف العطف يناسب

ماعدا الماء تقديره أو اعطونا، وعلى هذا الوجه تكون "**من** "بمعنى بعض او صفة لموصوف محذوف تقديره :شيئا من الماء لان : افيضوا يتعدى بنفسه فيحمل الفيض على المعنى المجازي وهو سعة العطاء والسخاء وضمير ﴿**قالوا**﴾لأصحاب الجنة وهو جوابهم عن سؤال أصحاب النار [50]

وفي قوله تعالى: ﴿**أو مما رزقكم**﴾ في الموضعين للبيان او للابتداء ووجه البيان ان المراد الحقيقة لا الاستغراق فإنهم لا يطلبون افاضة الماء كله،﴿**قالو ان الله حرمهما**﴾ منعهما وليس التحريم هنا مقابلا للفرض والكراهة لأنه لاتكليف يومئذ وفي ذلك تشبيه حالهم مع شراب الجنة وطعامها مثلا بحال تحريم ما حرم عليه وهو أشد في المنع فذلك استعارة تمثيلية [51]

قوله تعالى: ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وماكانوا باياتنا يجحدون﴾"

فقوله: ﴿**الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا**﴾ "الذين أمروا بالتدين به وهو دين الإسلام﴿**لهوا ولعبا**﴾ ملعبة يتلاعبون به يحرمون ماشاؤوا ويتبعون اهوائهم التي زينها لهم الشيطان [52] ،و**قوله تعالى**:" ﴿**وغرتهم الحياة الدنيا**﴾ أي:"وَخَدَعَهُمْ عَاجِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ وَالْخَفْضِ وَالدَّعَةِ عَنِ الْأَخْذِ بِنَصِيبِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ حَتَّى أَتَتْهُمُ الْمَنِيَّةُ [53] ،وقوله تعالى:﴿**ننساهم كما نسو لقاء يومهم هذا**﴾ "اي نتركهم في النار كما تركوا الإيمان ﴿**لقاء يومهم هذا**﴾"يعني بالبعث ﴿**وماكانوا باياتنا يجحدون**﴾ يعني يجحدون بالقران باته ليس من الله تعالى [54]

التوجيه البلاغي للآيات:

ومعنى قوله تعالى: ﴿**اتخذوا دينهم لهوا** ﴾ أي بالإعراض والاستهزاء لمن يدعوهم إلى الإسلام ،وقوله تعالى: ﴿**وما كانوا**﴾ عطف على من قوله "كما نسوا "وتحتمل أن تقدر "ما" الثانية زائدة ويكون قوله وكانوا عطفا على قوله: ﴿**نسوا** ﴾ [55]

وفي تفسير ابن عاشور: "قد أفادت صيغة ﴿**وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو**﴾ قصر الحياة على اللعب واللهو وهو قصر موصوف على صفة واللعب واللهو في قوة الوصف لأنهما مصدران أريد بهما الوصف للمبالغة وهذا القصر ادعائي يقصد به المبالغة لأن الأعمال الحاصلة في الحياة كثيرة منها اللهو واللعب [56]، وقوله تعالى:﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾ أي يعاملهم معاملة من نسيهم قوله تعالى هذا من باب المقابلة [57]

وفي تفسير اللباب لأبي حفص الحنبلي قال في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾، قوله تعالى:﴿**الذين**﴾ "يجوز أن تكون في محل جر وهو الظاهر نعتا آو بدلا من الكافرين ويجوز أن تكون رفعا أو نصبا على القطع، وقوله تعالى: ﴿**وغرتهم الحياة الدنيا** ﴾"عطف على الصلة وهو مجاز لان الحياة لا تغر في الحقيقة بل المراد أنه حصل الغرور عند هذه الحياة وقوله : ﴿**فاليوم**﴾ منصوب بما بعده وقوله "كما "نعت لمصدر محذوف أي: ينساهم نسيانا كنسيانهم لقاءه لقاء يومهم "ويومهم "يجوز أن يكون المفعول متسعا فيه فأضيف المصدر كما

يضاف إلى المفعول به ويجوز أن يكون المفعول محذوفا والإضافة إلى ظرف الحدث أي لقاء العذاب في يومهم وقوله ﴿**وما كانوا**﴾ ﴿ما﴾مصدرية نسقا على أختها المجرورة بالكاف أي : **وكانوا بآياتنا يجحدون**[58]

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة يتضح أن سورة الأعراف من أكثر السور الحوارية التي تصوّر مشاهد يوم القيامة، فقد اشتملت على العديد من الدلالات بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، ومن المهم الإشارة أن الآيات التي تمت دراستها قد استصحبت أيضا المواقف التي عاشها الناس في الحياة الدنيا، فقد بدأت بالحديث عن وعد الله تعالى لأصحاب الجنة، وخُتمت بمن غرتهم الحياة الدنيا من أصحاب النار.

لقد كانت آيات سورة الأعراف وزيادة على طبيعتها التنبيهية، فقد شملت أيضا دلالات بلاغية واضحة تؤكد حرص الخطاب القرآني على الصياغة البلاغية لآيات الوعد والوعيد معا، وهي الطبيعة التي لازمت الخطاب القرآني من بدايته إلى نهايته. وفي هذا المشهد تمكنت البلاغة من اختصار الموقف الرهيب بمجموعة من الآيات مع وفاءها الكامل بالمعنى.

الهوامش:

[1]–سورة الأعراف الأية (51-45)

[2] ـ الطبري، أبو جعفر، جامع البيان، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، 1422هـ، 2001م، ج10، ص 205.

[3]–السمرقندي، ،بحر العلوم، دار الفكر، بيروت، محمود بطرجي، ج1، ص 533

[4]– أبن ابي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق، أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط3، 1419هـ، ج5، ص 1482

[5]–أبوحيان الأندلسي ،البحر المحيط ،دار الفكر ، بيروت، 1420، ج4،ص 246

[6]–ابو محمد البغوي،معالم التنزيل ،ت محمد عبد الله النمر ،دار طيبة ،ط4،1417هـ–1997م ج3،ص 231

[7]– سيد قطب ،في ظلال القران، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط17، 1412هـ، ج3، ص 1292

[8]–الزمخشري ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، ،ج4، ص 140

[9]. سورة غافر الآية 32

[10]–الالوسي شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ،ج1،ص 87

[11]–ابن عاشور ،التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م،ج 08،ص 136

[12]– وهبة الزحيلي ،التفسير المنير،دار الفكر –دمشق،ط2 ،1418،ج8،ص215

[13]– أبو العباس شهاب الدين، الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، تحقيق أحمد بن محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج5،ص325

[14]– ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 8، ص136

[15]– أبو حفص الدمشقي،اللباب في علوم الكتاب، ت احمد عبد الموجود، علي محمد عوض، ،دار الكتب العلمية – بيروت– ،1419هـ –1998م ،ج 9، ص 123

[16]– ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 8،ص 138

[17]– ابو حفص الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ج 9، ص 124

[18]– ابن عاشور ،التحرير والتنوير، ج 8، ص 140

[19]–أبو العباس شهاب، الدر المصون في علم الكتاب ،ج 8، ص 2755

[20]– ابن عاشور التحرير والتنوير ،ج 8، ص 139

[21]– اطفيش ، تفسير اطفيش، ج 3، ص 135

[22]– الالوسي ، روح المعاني ، ج 8، ص 176

[23]–ابو حيان الاندلسي ،البحر المحيط ،دار الفكر ،ج 4، ص 246

[24]– القرطبي ، الجاع لاحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ 2003 ،ج 7، ص 210

[25]–النسفي، تفسير النفسي، دار النفائس ، بيروت 2005،ت مروان محمد الشعار ،ج 2، ص 49

[26]– اسماعيل حقي الاستانبولي، تفسير روح البيان، دار احياء التراث العربي ،ج 3، ص 125

[27]– الشوكاني، فتح القدير ،دار الفكر بيروت، ج 2، ص 207

[28]–البيضاوي ،تفسير البيضاوي،دار الفكر،بيروت،ج3 ،ص 22

[29]–المصدر نفسه ،ص23

[30]–ابن عاشور ،التحرير والتنوير، ج8، ص 142

[31]–ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج 9، ص 378

[32]–احمد ابو العباس،البحر المديد ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2،2002،1423،ج2،ص491

[33]–الزمخشري ،الكشاف،ج2،ص102

[34]–ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج 11، ص 3

[35]– ابو حفص الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب،ج 9، ص 130

[36]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 11، ص 3

[37]–النيسابوري نظام الدين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ ،ج3 ،ص431

[38]– المصدر نفسه، ج3، ص 431

[39]–ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص 180

[40]–ابن عاشور، التحرير والتنزير، ج8، ص 146

[41]– أبو العباس شهاب، الدر المصون في علم الكتاب المكنون ج 1، ص 2758

[42]– اطفيش ، تفسير اطفيش ج 3، ص 139

[43]–ابو حفص الحنبلي ،اللباب في علوم الكتاب ،ج9،ص131

[44]–الالوسي ،تفسير الالوسي ،ج 6 ، ص 181

[45]– ابن عاشور ،التحرير والتنوير، ج 8، ص147.

[46]– اسماعيل الاستانبولي ،روح البيان، ج 3، ص 129.

[47]– الزحيلي ،تفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط1، 1418، ،ج 8، ص 219.

[48]–الطبري،جامع البيان في تاويل القران ، ج10، ص 235.

[49]– الاستنبولي اسماعيل حقي، روح البيان،ج3،ص130.

[50]–ابن عاشور ،التحرير والتنوير،ج 11، ص 8.

[51]– أطفيش، تفسير اطفيش، ج3، ص 140.

[52]–الاستنبولي ،تفسير روح البيان، ج3 ،ص130.

[53]– تفسير الطبري، ج10، ص 237.

[54]–مقاتل بن سليمان –تفسير مقاتل بن سليمان ت احمد فريد ،دار الكتب العلمية لبنان 1424-2003،ط1،ط1،ج1،ص394

[55]– ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، ج 2، ص 407.

[56]– ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج9، ص 84.

[57]– ابن كثير، تفسير القرن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420، 1999، ج 3، ص 424.

[58]– ابو حفص الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج 9، صص 135،136.